جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

ما ضربت به الأمثال في القرآن الكريم

(دراسة بلاغيَة)

الدكتور

عبدالرحيم دفع اللّه أحمد دفع اللّه العقلي

أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية -كلية الإمام الهادي

الخرطم ـ السودان

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول

الإطار المنهجي للبحث

المقدمة :

الحمد للَه المعلم بالبيان ، اللطيف الخبير ، المعجز بكلامه ، والصلاة والسلام علي أطهر وأتقى الأنام ، الَذي كان ترجمة حيَة للقرآن ، محمَد بن عبداللَه الصَادق الأمين ، وعلي آله الطيبين الطَاهرين ، وصحابته الغرَ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين ، **وبعد** :-

فإن القرآن قد بهر العرب بعذوبته ورونقه ، وحلاوته وجماله . وقد تحدَى به النبيَ صلَي اللَه عليه وسلَم فأعجز مقاويل البلغاء ، وأعيا أساطين الفصحاء ، وفحول البيان ، في زمن قد حشدت فيه مواهب العرب الذَهنية ، وكانت الملكة لديهم والقوة قد توافرت على الإجادة بمتطلبات الإفصاح والبيان .

وفي هذا الموقف كانت الأمثال مظهراً من مظاهر بلاغة القرآن ودقة تصويره الفنَي ، وإعجازه وسحر أسلوبه ، وهي من أهم وسائل حفظ تلك التجارب والحكم . فالأمثال تبرز المعاني في أجل صورها ، وتكشف الحقائق في مظهر رائع يجذب النفوس إليها ، وتشكل معلما بارزا من معالم منهاج القرآن ، فتخرج الملتبس إلي البيان ، والمهم إلي الإيضاح فتكسوه حُلة البروز بعد استتاره، والظهور بعد خفائه .

لذا ، فإن الباحث ، بعد إطالة النظر والتأمل ، اختار المثل القرآني موضوعاً للدراسة ، وجاء تحت مسمى (ما ضربت به الأمثال في القرآن الكريم ، دراسة بلاغيَة) والله من وراء القصد وهو يهدي إلي سواء السبيل .

أهمية البحث ومبَررات اختياره :

تنبع أهمية البحث من أهمية الموضوع الذَي جاء لخدمته ، إذ يعَد المثل وجهاً من وجوه أسرار القرآن الكريم ، وتنَوع التعبير القرآني عن المعاني ، فالقرآن معجز ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق علي كثرة الرَد ، ونحن في عصرنا هذا ، أحوج ما نكون إلي المثل القرآني ، لما له من خصائص فنية مبهرة ،تقرَب مقصد اللَه سبحانه وتعالى بأيسر أسلوب ، وأقصر طريق . هذا إلي جانب كثير من الدوافع والمبررات التي حملتني لاختيار الموضوع ، منها :

١- الضَرب بسهم وافر في اختيار الأمثال القرآنية لمناسبة روح العصر العلمية .

٢- البحث – بعد اكتماله – يقَدم صورة حَية لأسرار الأمثال القرآنية وقدرتها على الوفاء بالمعاني التي يقصدها من قام بضرب المثل

٣- البحث يسهم في جمع الأمثال القرآنية وربطها بالمواقف التعبيرية التي استدعت وجودها .

أهداف البحث :

١- الإشارة إلي النظم البلاغي لما ضربت به الأمثال في القرآن الكريم .

٢- إظهار أن الإعجاز القرآني يتجلي في الأمثال ويقرب المعاني للأذهان .

٣- بيان أن الأمثال تثبت النفوس علي الحق وتهذب الطبائع .

٤- الرَغبة في نيل البركة بانجاز بحث يتصل بكتاب الله تعالى .

أسئلة البحث :

١- ما المثل ؟ وماهي أهميته ؟

٢- ما أنواع المثل في القرآن الكريم ؟

٣- ما الفوائد التي تتحقق بضرب الأمثال ؟

٤- ما الوجوه التي ضربت الأمثال في البلاغية المستفادة

حدود البحث :

تتمثل حدود البحث في آيات بيّنات مختارة من سور النحل والأنعام وطه ومريم والحجَ والنَور والبقرة وهود ولقمان والتوبة ، على ترتيب أتى بمقتضى الهيكل الذي جاء متضمناً للمباحث .

منهج البحث :

إنَ طبيعة البحث اقتضت اختيار المنهج الوصفيَ التحليلي ، وعليه سار البحث الى منتاه ، من جمع المادة ، مروراً بعرضها إلي النتائج والتوصيات .

هيكل البحث :

تمَ بناء هيكل البحث من إطار منهجي شمل أهمية البحث ومبَررات اختياره، وأسئلته وأهدافه ، وحدوده ، وهذا محتوى المبحث الأول ، إلي جانب سبعة مباحث أخري ، وخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات ، على النَحو التَالي :

- **المبحث الأول** : الإطار المنهجي للبحث .
- **المبحث الثاني** : تعريف المثل وأنواعه وأهميته .
- **المبحث الثالث** : الأمثال في القرآن الكريم وفوائدها .
- **المبحث الرابع** : ضرب المثل لإحصاء نعم اللَه .
- **المبحث الخامس** : ضرب المثل لتصوير الهلع .
- **المبحث السادس** : ضرب المثل لذكر اسرار الطبيعة .
- **المبحث السابع** : ضرب المثل للتَعجيز والتَحدي .
- **الخاتمة** : (النتائج والتوصيات)
- **المصادر والمراجع** .

المبحث الثاني

تعريف المثل

(أ) تعريف المثل (لغة) :

ذكر ابن فارس [١] أن المثل في (اللغة) : جمعه أمثال ، والمثل والمثيل ، كالشبه والشبيه لفظاً ومعني ، وعنده أن :((الميم ، والثاء واللام أصل صحيح ، يدلَ على مناظرة الشيء للشَيء ؛ فيقال : هذا مثل هذا ؛ أي نظيره ، والمثل والمثال في معنى واحد ، وربَما قالوا : مثيل كشبيه ، والمثل والمثل أيضاً ، والمثل المضروب من هذا ؛ لأنَه يذكر مورَى به عن مثله في المعني ، والمثل والنظير ، والمثل : السائر من أقوال العرب)) [٢] .

وذكر الزمخشري في (أساس البلاغة) قوله : ((مثل لي مثله ومثله ومثيله ومماثله مثل به مثلة ..... وهو أن يقطع بعض أعضائه أو يسود وجهه ، وحلت به المثُله : العقوبة والمُثلات ، ومثل قائماً : انتصب مثولاً ، ورأيته ماثلاً بين يديه ، وتماثل من مرضه ، ومثله به : شبهه ، وتمثَل به : تشبَه به ، ومثُل الشيء بالشي سوي به ....))[٣].

---

(١) هو أحمد بن فارس ، ويكنَى بأبي الحسين ، ولد سنة ٣٢٩هـ ، له مصنفات كثيرة منها فقه اللَغة ، ومقاييس اللَغة ، وغريب إعراب القرآن ، أنظر : وفيات الأعيان ٣٥/١ ، معجم الأدباء ٨٢/٤ ، إنباه الرواة ٨٦/١

(٢) مقاييس اللَغة ، راس فارس ، تحقيق: محمد عطية ط ٢، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ٧ ، ٢٩٦/٥ .

(٣) أساس البلاغة ، الزمخشري ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م، ص ٥٨١ .

وذكر في (الكشاف) : ((المثل في أصل كلامهم بمعني (المثل) وهو النظير يُقال : مثل ، مثل ، مثيل ، كشبه ، وشبه ، وشبيه ، ثم قيل للقول الممثل، مضربه بمورده))[١].

وجاء في (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي[٢]: (المثل ، والمثيل ، كالمثل ، والجمع أمثلة ، وهما يتماثلان ، والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً ؛ فيجعل مثله ، وهو مايضرب به الأمثال ، ومثل الشيء : صفته ، والمثل مأخوذ من (المثال) و (الحذو) ومثل بالشيء ضربه مثلاً) [٣].

وقرر مجمع اللغة العربية في القاهرة أنَ : ((الأمثال جمع مثل : وهو عبارة تقال لتشبه حال لنظيرتها ، أو قصَة ، والأمثال : النظائر ، والمثل : الصَفة)) [٤].

(ب) تعريف المثل (اصطلاحاً) :

ينظر الباحث تعريف المثل اصطلاحاً بتتبع ما قاله القدماء والمحدثون حول هذا التعريف وهو لا يخرج عن إطار المشتقات التي تذهب إليه المعاني [٥] .

إنَ النقاد العرب القدامي قد ربطوا بين (المثل) و (الحكمة) ؛ باعتبار أنَ كلاً منهما يمثل محصلة نهائية لما جادت به القرائح ، وثمرة من ثمرات

---

(١) الكشاف ، الزمخشري ، ٢٠٦/٣.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ،السيوطي، ٢٠٦/١.
(٣) الإتقان في علوم القرآن ،السيوطي، ٢٠٦/١.
(٤) / أضواء على بعض الأمثال في القرآن الكريم ، خالد معدل ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد (٨) ، مارس ١٩٩٥م.
(٥) انظر : فَن الأمثال في مجتمعنا القديم والمعاصر، د. عبدالمجيد الإسداويَ ، مكتبة عرفات ، الزقازيق ، ط٢ ، ٢٠٠٦م، ص ٦٤.

التجارب . ومن النقاد الذين اهتموا بالمثل ، منهم أبوعبيد القاسم بن سلاَم ، الَذي ذهب إلي أنَ ((الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام)) .

أما الفارابي ؛ فقد وصف المثل بأنَه : (من أبلغ الحكمة) . ورأى أبو هلال العسكري أنَ الأمثال (نوع من العلم منفرد بنفسه ، ولا يقدر علي التصرف فيه إلاَ من اجتهد في طلبه ؛ حتَى أحكمه ، وبالغ في التماسه ؛ حتَى أتقنه . معقباً على ذلك بقوله : ((ثمَ جعل كل كلمة حكمة سائرة مثلاً))[١].

ويرى الزمخشري أنَ الأمثال هي : (قصارى فصاحة العرب العرباء ، وجوامع كلمها ، ونوادر حكمها ، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها أعربت بها عند القرائح السَليمة)[٢] . وقال شهاب الدين الأبشيهيَ: (الأمثال أشرف ما وصَل به اللَبيب خطابه ، وحلَي بجواهره كتابه ...)[٣].

وممَا يتصل بالتعريف الاصطلاحي للمثل أنَ : ((ضرب المثل في غضون الكلام يعدُ لوناً متميَزاً من ألوان التشبيه ، ويعدٌ أحياناً لوناً خاصاً من ألوان الاستعارة ، فإن كان الممثل له مذكوراً في الكلام كان تشبيهاً ، وإن كان محذوفا

فهو استعارة))[٤]. مَما تقدم ، يذهب الباحث إلي أن المثل هو خلاصة كلام العرب الذّي ينبع من حكمتهم[٥] وتجربتهم . كما أنَ القرآن يحتوي كنوزاً من الأمثال ؛ ولا يكاد كلَ معني من المعاني ، في الدَنيا والآخرة ، إلاَ وله تلبُس بالمثل لتقريب وعد اللَه تبارك وتعالى للأفهام .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، المصدر نفسه ، ص ١١٨.
(٢) الكشَاف ، الزمخشريَ ، تحقيق : يوسف الحمَادي ، مكتبة مصر ، ج٢، ص ١٤٣.
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدَين الأبشيهيَ ، دار الجيل ، بيروت ، ط١١ ، ص ١١٢ .
(٤) في النقد التحليلي ، د. عبدالمجيد الإسداوي ، ص ١٠٠.
(٥) من روائع القرآن ، محمَد سعيد البوطي ،ط١ ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص١٨.

المبحث الثالث

أهمية المثل وأنواعه وفوائده

- **أهمية المثل :**

للمثل في الكلام أهمية خاصة ، ووظيفة لا تُنكر فائدتها ، فله تأثير عجيب في الأذان وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان وتجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ، إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكفاية فهو نهاية البلاغة، وهو يعتبر ضرب سامٍ من فصيح الكلام جرى عليه القرآن الكريم لتأكيد معنى أو بيان غاية [١] .

يقول تعالى : " وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون "[٢] ويقول تعالى :

(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) [٣] فأمثال القرآن محور أساسي من المحاور الخمسة التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن القرآن نزل على خمسة أوجه ، حلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام و اتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال " [٤] .

- ويعتقد ابن عبد ربه أنها أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة مع ما لهما، من مكانة في الأدب العربي فقال : " هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ " وجلي

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم ، ابن القيم الجوزية ، ص٢٨ .
(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٣) .
(٣) سورة الروم الآية (٢٧)
(٤) د/ محمد جابر الفياض ، الأمثال في القرآن الكريم ، ص ١٤ .

المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها حتى قيل (أسير من مثل) (١) .

- ويرى ابن المقفع أن في المثل إيضاحاً للمعنى ومجالاً للتوسع في الحديث من غير أن يفقد الحديث رونقه ، ووقعه الحسن على الأمثال فقال : " إذا جعل الكلام منطقاً كان ذلك أوضح للمنطق وأبين في المعنى، وأنقى للسمع وأوسع لشعوب الحديث " (٢) .

- وأطال الشيخ عبد القاهر الجرجاني الحديث عن تفضيل العقلاء للتمثيل على غيره من الأساليب وعن تأثيره في النفوس ، مدحاً كان أو ذماً ، أو فخراً أو إعتزازاً فقال " واعلم أن ما اتفق عليه العقلاء ، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورتها كساها أبهةً وأكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي البلاد الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"(٣).

- ويرى الرازي أن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقاً للعقل وذلك هو النهاية في الإيضاح (٤) . فالأمثال هي التي تؤكد المعنى وتبرزه

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٣ ، ص ٦٣ .
(٢) ابن المقفع ، الأدب الصغير، ص ٤٠ –٤١.
(٣) الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ٨٤ – ٨٨ .
(٤) الرازي ، التفسير الكبير ج١ ، ص ٢٩٣ .

إبرازاً يجعله متميزاً في النفس أكمل تمييز ويأتي المعنى مصحوباً بدليله ، فيجري مجرى الحكم وهو في القرآن كثير ، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية مركزة لما فيها من العظة والعبرة والإقناع .

- وسيعرض الباحث نماذج تحليلية للأمثال في القرآن الكريم ، التي ضرب الله بها للناس عبراً في مجالات مختلفة ، تعالج شؤون الإنسان في مجال العقيدة ، وغرس القيم الدينية البعيدة عن الانحراف ، والقيم التي تدعو إلى الإيمان بالله ووحدانيته ، واتصافه بالكمال المطلق والإيمان بما أنزل والحياة التي يحياها الناس ، وكيف حققت هذه الأمثال القرآنية نجاحاً باهراً بأسلوبها القرآني الأخاذ ، عن طريق البرهان والحجة والدليل ، والإقناع ، وسوق الدليل لتنمية جانب التفكير ، ومافيه من تأثير وقوة في الكلام ، واقتناع بما يسوقه من أفكار فكانها تأتي بالشيء ودليله من واقع الحياة [١]. وماتناولته من أحوال الأمم السَابقة في محاربة الرَسل وفي مجال المعصية ، وما أصابهم اللَه به جزاء أعمالهم ، بتلك العقوبات التي تنوعت بالرَجفة ، والخسف وإرسال الحاصب من السماء والإغراق ؛ تعرض هذه الآيات مشاهد محسوسة مألوفة لديهم ومتَصلة بحياتهم ومعاشهم من زرع ونبات ومطر وريح وبرق وجنة ونار وغيرها ، لأنَ الإنسان جزء من الطبيعة ، خصه الله بالفكر ، فلعلها تثير فيه نزعة التفكير والتأمل ، وتجعله يعترف بنعم الله وفضله ، وتولد في نفسه اليقين ، وتعينه علي الاقتناع بالنتائج والتبصر في الأمور .

(١) شرح الأمثال في القرآن ، الطَهطَاويَ ، ص ١٧٧.

أنواع المثل :

للمثل ثلاثة أنواع :-

١/ **المثل الموجز السائر**:- وهو إما شعبي لا تعمُل فيه ولا تكلف ولا تقيد بقواعد النحو ، وإما كتابي صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء. كقولهم: (رب عجلة تهب ريثاً) و(كالمستجير من الرمضاء بالنار) .

٢/ **المثل القياسي** :- وهو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالأخر لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه ويجمع بين عميق الفكرة ومجال التصوير .

٣/ **المثل الخرافي** وهو حكاية ذات مغزى غير الإنسان بغرض تعليمي أو فكاهي وما أشبه ذلك ، كقولهم : (أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض) فالفرق بين المثل الخرافي والقياسي ، أن الأول تنسب الأحاسيس الإنسانية فيه إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرهما ، أما المثل الثاني أي (القياسي) فالحيوانات فيه أن استخدمت لا تعدو أن تكون مجرد توضيح للفكرة دون أن تتعدى القوانين التي يخضع لها نوعها .

والمثل الخرافي يرمز إلى الأشياء أي يقال شيء ويراد به شيء آخر، أما القياسي فيراد به الأشياء المذكورة لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل[١].

(١) انظر : الأمثال في القرآن الكريم ، ابن القيم الجوزيَة ، ص ١٨ – ٢٠ .

هذا ماكان من أمر الأمثال في ذاكرة العرب ، وهي – في جملتها – أمثال تنبئ عن مبادئ دينية أو خلقية ذات بعد اجتماعَي أحياناً ، ولعلَ نـزول القـرآن الكريم قد أكسبها بعداً جديداً ، وهي بالتَالي عبارة عن أمثال قد لايرد فيها بصريح بلفظ التشبيه ، وإنمَا هي تمتاز بالإيجاز في العبادة والشمول في المعني ؛ لذا فهي أشد وقعاً ، ذات أثر بعيد في نفس المتلقَي ، إذاً فالأمثال في القرآن الكريم ثلاثـة أنواع ؛ علي النحو التَالي[١] :

- **الأول** : الأمثال المصَرحة (الصريحة) ؛ ويقال لها أيضاً القياسية ، وهي ما صَرح فيها بلفظ المثل ، يدلَ علي التشبيه ، وهي أكثر وروداً فـي القـرآن الكريم ، ومن أمثلتها :

١- قوله تعالي:(ألم تر كيف ضرب اللَه مثلاً كلمة طيَبة كشجرة طيَبة أصـلها ثابت وفرعها في السماء*تؤتي أكلها كلَ حين بإذن ربهـا ويضـرب اللَـه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)[٢] .

٢- قوله سبحانه : (مثل الذَين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً)[٣]

- **الثَاني** : الأمثال الكامنة ، وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ؛ ولكنهـا تدل علي معان تأخذ بالنفس . ومن أمثلتها :

١- قوله تعالي : (حكاية عن قوم موسي : (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مـاهي قال إنَه يقول إنَها بقرة لا فارض ولابكر عوان بين ذلـك)[٤] أي أن تكـون البقرة المطلوبة وسط بين ذلك .

---

(١) انظر : مباحث علوم القرآن ، منَاع القطان ، منشورات العصر الحديث ، ص ٢٨٠ .
(٢) سورة إبراهيم : الآية (٢٤،٢٥).
(٣) سورة الجمعة : الآية (٥).
(٤) سورة البقرة : الآية (٦٨) .

٢- قوله تعالي : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)[١] أتي الاعتدال في الإنفاق ، لا يجعل اليد مغلولة ولا يبسطها كل البسط .

- **الثالث** : الأمثال المرسلة ، وهي كثيرة في القرآن ، عبارة عن جمل أرسلت من غير تصريح بلفظ التشبيه ، فهي – بهيئتها تلك – جارية مجري المثل . ومَما جاء في القرآن من الأمثال المرسلة قوله تعالي :

(١) (الآن حصحص الحقَ)[٢].

(٢) (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)[٣].

(٣) (ولا يحيق المكر السَيء إلاَ بأهله)[٤].

(٤) (كل نفس بما كسبت رهينة)[٥]

(٥) (ضعف الطالب والمطلوب)[٦] .

(٦) (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتيء)[٧] .

(٧) (وكفى اللَه المؤمنين القتال)[٨] .

---

(١) سورة الفرقان : الآية (٦٧) .
(٢) سورة يوسف : الآية (٥١).
(٣) سورة يوسف : الآية(٤١).
(٤) سورة فاطر : الآية (٤٣).
(٥) سورة المدَثر : الآية (٣٨)
(٦) (سورة الحج : الآية (٧٣).
(٧) سورة الحشر : الآية (١٤).
(٨) سورة الأحزاب : الآية(٢٥)

- **فوائد الأمثال :**

يأتي المثل – في الأصل – بمعنى النظير والشبيه ، وتضرب الأمثال لإيضاح المعنى الخفي ، وتقريب المعقول من المحسوس ، وعرض الغائب في صورة الشاهد ، فيكون المعنى الذّي ضرب له المثل ، أوقع في القلوب ، وأثبت في النفوس ، ولقد أكثر القرآن من ضرب الأمثال لإيضاح المعنى الخفي .

وللأمثال فوائد جَمة وعظيمة ، ويأتي علي رأسها أمثال القرآن الكريم ، لأنَها أوقع في النفس ، وأبلغ في التَوجيه والإرشاد ، ومنها ما جاء للعبرة والتذكرة ، والأخذ بالأمر ، وترك ما دونه . قال تعالي : (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلَهم يتذكرون)[١] . وقال جلَ وعلا : (وتلك الأمثال نضربها للنَاس وما يعقلها إلاَ العالمون)[٢] . هذا ، ومن فوائد الأمثال في القرآن الكريم نذكر ما يلي :

- **أولاً** : وضع المعقول في هيئة المحسوس . ومن ذلك تصوير اللَه تعالي حال المنفق ماله رياءً . قال تعالي : (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون علي شيء مما كسبوا)[٣].
- **ثانياً** : الكشف عن الحقائق وعرض الغائب في صورة الحاضر ، وذلك بتجسيد حال آكل الرَبا . قال تعالي :(الذين يأكلون الرَبا لايقومون إلاَ كما يقوم الذَي يتخبطه الشيطان من المسَ)[٤] .

---

(١) سورة الزمر : الآية (٢٧).
(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٣).
(٣) سورة البقرة : الآية (٢٦٤).
(٤) سورة البقرة : الآية (٢٧٥).

- **ثالثاً** : الترغيب في الشيء الممثل به ، قال تعالي :(مثل الذَين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبه أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللَه يضاعف لمن يشاء واللَه واسع عليم)[١]

- **رابعاً**: التنفير مَما تكره النفس ، وذلك يرى في نهي اللَه تعالي عن الغيبة ، قال تعالي : (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)[٢]

- **خامساً** : مدح الممثَل به ، كقوله تعالي في صحابة رسول الله صلي اللَه عليه وسلم : (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى علي سوقه يعجب الزرَاع ليغيظ بهم الكفَار)[٣]

ويري الباحث مَما تقدم أن المثل من خلال أهميته ، وفوائده " أفضل الوسائل لتصوير المعاني ، فحين يستقرَ في ذهني معني من المعاني وأريد أن أنقله كما هو إلي ذهنك فإنَي أترجمه إلى ألفاظ ، وكلمات تنساب من مقولي وتلج عن طريق أذنيك إلي عقلك فيستقبلها ويحولها إلى ألفاظ ،

تطابق المعاني الأصليَة في ذهني ، وقد لا تطابقها إما لقصور في الترجمة عندي ، أو لقصور في الإدراك عندك أو لهما معاً "[٤] .

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦١) .
(٢) سورة الحجرات: الآية (١٢).
(٣) سورة الفتح : الآية (٢٩).
(٤) خصائص القرآن فهد الرومي ، ط ٣، مطبعة الرشد ، الرياض ، ١٩٩٩م،ص٩٠

المبحث الرابع

ضرب المثل لإحصاء نعم الله

يُضربُ المثل في القرآن الكريم ويراد به إحصاء نعم اللَه تعالى ، وهي لاتُحصى – قال تعالى : (وإنْ تعدوا نعمة اللَه لا تحصوها ..)[١] ويورد الباحث تباعاً مثالين لنعم اللَه ، ونري كيف جسَد اللَه تعالى نعمه هذه وجعلها شاخصةً حيَة يدركها الإنسان بجميع الحواسَ ، فتتماهى معها النفوس ذات الفطرة السليمة.

المثال الأول : قوله تعالي : (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) [٢] .

هذه الصورة تعالج قضية التوحيد والبعث وتلم بحقيقة الوحدانية التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد صلى الله عليه وسلم، وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالأيمان والكفر والضلال والهدى، تخاطب الأذن لتسمع والعين لترى واللمس ليستشعر والعقل ليتدبر والوجدان ليتأثر، والآيات الكونية تتجلّى فيها عظمة النعمة وعظمة الخلق ، والتدبير والعلم ، وتتراءى في الآية ظلال النعمة وظلال الشكر والتوجيهات إليها وتضرب عليها الأمثال وتعرض لها النماذج [٣] وإن في الأنعام لعظة دالة على باهر قدرتنا وواسع فضلنا، وبديع صنعنا ، ورحمتنا بعبادنا ، فإننا نسقيكم مما في بطونها من اللبن الخالص من شائبات المواد الغريبة ، اللذيذ الطعم السهل التناول وهو متولد بين فرث ودم، فإن الحيوان إذا هضم المأكول تحول بإذن الله إلى عصارة نافعة للجسم

---

(١) سورة النحل : الآية : (١٨)
(٢) سورة النحل : الآية (٦٦)
(٣) في ظلال القرآن ج ٤ ، ص ٢١٥٨ – ٢١٥٩ .

وفضلات تطرد إلى الخارج، وفيها يتكون الدم الذي يسري في عروق الجسم لحفظ الحياة، وبعض هذا الدم يذهب إلى الغدد التي في الضرع فتحوله إلى لبن [١].

خلق الله اللبن وسطاً بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا رائحة ولا طعم ، بل هو خالص من ذلك كله ، فإذا أكلت البهيمة العلف استقر في كرشها وطبخته فكان أعلاه دماً وأوسطه لبناً وأسفله فرثاً، والكبد مسلط على هذه الأصناف الثلاثة نفسها فتجري اللبن في الضرع والدم في العروق ويبقى الفرث في الكرش. [٢] وعملية تحول الخلاصات الغذائية في الجسم إلى دم وتغذية كل خلية بالمواد التي تحتاج إليها من مواد، هذا الدم عملية عجيبة فائقة العجب[٣] ، وهي تتم في الجسم في كل ثانية كما تتم عملية الاحتراق ، وفي كل لحظة تتم في هذا الجهاز الغريب عمليات هدم وبناء مستمرة لا تكف حتى تفارق الروح الجسد، ولا يملك الإنسان سوى الشعور أن يقف أمام هذه العمليات العجيبة بأن تهتف كل ذرة فيه بتسبيح الخالق المبدع لهذا الجهاز الإنساني الذي لا يقاس إليه أعقد جهاز من صنع البشر ولا إلى خلية واحدة من خلاياه التي لا تحصى[٤].

هذا مثال يرسم صورة حية على نسق بلاغي لنعم الله التي أنعم بها علينا ومنها هذا اللبن الذي يخرج صافياً من بين فرث ودم، والحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن الكريم عن خروج هذا اللبن لم تكن معروفة لبشر، ولا يمكن لإنسان عاقل أن يماري في هذا أو يجادل. ووجود حقيقة واحدة من نوع هذه الحقيقة يكفي وحده لإثبات الوحي من الله بهذا القرآن .

---

(١) حدائق الروح والريحان ج ١٥ ، ص ٢٨٧.
(٢) الكشاف ج ٢ ، ص ٦١٥ – ٦١٦ .
(٣) في ظلال القرآن ج٤ ص٢١٨٠
(٤) حدائق الروح والريحان ج١٥ ص٢٨٦

و(من) للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والضمير يعود إلى الأنعام(من بين فرث ودم)من ابتدائية متعلقة بـ(نسقيكم) لأن بين الفرث والدم مبدأ الإسقاء فضالة العلف وروثه في الكرش، (خالصاً) صافياً ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث (سائغاً للشاربين) سهل المرور في حلوق الشاربين[١]والتنكير في(لعبرة) للتفخيم أي لعبرة عظيمة [٢] أي دلالة على قدرة الله ووحدانيته وعظمته والعبرة أصلا تمثيل الشيء بالشيء لتعرف حقيقته عن طريق المشاكلة وقال أبو بكر الوراق:-العبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم، وتمرَدك على ربَك وخلافك له في كلَ شيْ ومن أعظم العبر بريء يحمل ذنباً)[٣].

- **المثال الثَاني** : **قوله تعالي** :

(وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)[٤] .تناولت الآية ، في إطار السورة قضية التوحيد والعدالة الاجتماعية التي انبثقت من تصور اعتقادي شامل لمنهج قويم جاء ليحكم الحياة في واقعها ، ويواجه هذا الواقع ليقضى فيه بأمره يقره أو يعدله، أو يغيره من أساسه، وهكذا يمضي السياق موجة في إثر موجة على هذا النسق[٥]. وفي الآية تذكير للعباد بنعمة من نعمه سبحانه، الجليلة المنبئة عن كمال قدرته عز وجل وسعة رحمته[٦] . أنزل من السحاب المطر فأخرج به كل ما

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص ٣٥٠

(٢) روح المعاني ج٧ ص ٥٦٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١٢ ، ص ٣٥٠ .

(٤) الأنعام ٩٩

(٥) في ظلال القرآن ج٢ ص ١٠٠٦ – ١٠٤٦

(٦) روح المعاني ج٤ ص ٣٠٤

ينبت من الحبوب والفواكه والبقول والثمار والشجر والحشائش. وأخرجنا من النبات شيئاً غضاً أخضر، نخرج من الخضر حبا متراكباً بعضه فوق بعض كسنابل الشعير والحنطة، وأخرجنا من طلع النخل – وأخرجنا بالماء بساتين وحدائق من أعناب ، وأخرجنا به أيضا شجر الرمان والزيتون مشتبهاً في المنظر وغير متشابه في الطعم مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره وفي ذلك دليل قاطع على الصانع القدير. انظروا أيها الناس نظر اعتبار واستبصار إلى خروج هذه الثمار من ابتداء خروجها إلى انتهاء ظهورها ونضجها وكيف تنتقل من حال إلى حال في الصغر والكبر والرائحة واللون والطعم . إن في خلق هذه الثمار والزروع مع اختلاف الأشكال والأجناس والألوان لدلائل باهرة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يؤمنون بوجود الله[١] إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفاً لا يكاد ينتفع به وانظروا إلى حال نضجه وينعه كيف يعود شيئاً جامعاً لمنافع وملاذ ،

نظر استبصار واعتبار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبرة وناقلة من حال إلى حال[٢] وفي الآية مثال حيث يشير إلى مشاهد الحياة المتفتحة في جنبات الأرض تستجليها الحواس وتراها الأعين وتتدبرها القلوب وترى فيها بدائع صنع الله ودور الماء الظاهر في إنبات كل شيء ، دور واضح يعلمه البدائي والمتحضر، ويعرفه العالم والجاهل، ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة فقد شارك الماء ابتداء – بتقدير الله – في جعل الأرض السطحية صالحة للإنبات[٣].

واستخدام لفظة (خضر) أرق ظلاً وأعمق إلفه من لفظ (أخضر) و (حباً متراكباً) كالسنابل وأمثالها و(قنوان) جمع قنو وهو الفرع الصغير ، وفي النخلة

(١) صفوة التفاسير مج١ ص ٤٠٨ – ٩٠٤
(٢) الكشاف ج٢ ص ٥٢
(٣) في ظلال القرآن مج٢ ص ١١٦٠ – ١١٦١

هو العذق الذي يحمل الثمر ولفظ (قنوان) ووصفها (دانية) يشتركان في إلقاء ظل لطيف أليف ، وظل المشهد كله ظلٌ وديع حبيب (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) المجال مجال جمال ومتاع كما أنه مجال تدبر في آيات الله وبدائع صنعته في مجال الحياة[١] .

(مشتبهاً وغير متشابه) يقال اشتبه الشيئان وتشابها . والمعنى بعضه متشابهاً وبعضه غير متشابه في الطعم واللون والقدر وذلك دليل على التعمد دون الإهمال[٢] .

(فأخرجنا به) فيه التفات عن الغيبة والأصل فأخرج به ، والهدف الاعتناء بشأن المخرج ، والإشارة إلى أنه نعمة عظيمة (والزيتون والرمان) من عطف الخاص على العام لمزيد الشرف لأنهما من أعظم النعم[٣] واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلم وحده لإظهار كمال العناية . أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته (نبات كل شيء) أي : كل صنف من أصناف النبات المختلفة في الكم والخواص والكيف والآثار ، اختلافاً متفاوتاً في مراتب الزيادة والنقصان ، حيث يفصح عنه قوله سبحانه (يسقى بماءٍ واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل)[٤].

وذكر بعض المحققين أن في الآية على تقدير عود الضمير إلى الماء معنى بديعاً حيث تضمنت الإشارة إلى أنه تعالى (أخرج من الماء الحلو الأبيض في رأي العين أصنافاً من النبات والثمار مختلفة الطعوم والألوان)[٥].

---

(١) في ظلال القرآن مج٢ ص ١١٦١

(٢) الكشاف ج٢ص ٥٢.

(٣) صفوة التفاسير مج ١ ص ٤١١

(٤) سورة الرعد ٤

(٥) روح المعاني ، مج ٤ ، ص ٣٠٦ .

وقد ختمت الآية بقوله تعالي : (إنَ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) فالايمان هو الذَي ينير البصيرة ، وينبَه أجهزة الاستقبال والاستجابة في الفطرة ، ويفتح القلب ، ويدعو الوجدان إلي الإيمان باللَه خالق الجميع ويصل الكائن الإنساني بالوجود ، فيرى نعم ربَه واضحة جليَة فيشكر ويحمد ويتضَرع إليه بالدعاء.

المبحث الخامس

ضرب المثل لتصوير الهلع

جاء ضرب المثل في القرآن الكريم لتصوير وتقديم صور لمآل الإنسان في يوم المعاد ، وفي الحياة الدَنيا ، وهو بعيد عن حياض الله تعالي . وقد اختـرت مثالين قدما صورتين شاخصتين للهلع الذي يلمٌ بالإنسان ، علي النَحو التَالي :

المثال الأول : قوله تعالي (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضـنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)[١]

إن الله عز وجل جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشاً هنيئاً غير مهموم ولا مغموم ولا متعب نفسه ، وجعل لمن اتبع هواه وأعرض عن دين الله أن يعيش عيشاً ضيقاً في تعب ونصب مع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب ، فهو في الآخرة أشد تعبا وأعظم ضيقاً وأكثر نصباً . وكلما ترك آياتنا ترك المنسي الذي لا يذكر أصلا وأعرض عنها اليوم ننساه فنتركه في النار، وهكذا نعاقب من أسرف فعصى ربه ولم يؤمن برسله وكتبه فنجعل له معيشةً ضنكا[٢]. أتتك آياتنا واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها، فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءك عن عينيك[٣] . ووجه ضيق معيشة الكافر المعرض في الدنيا أنه شديد الحرص على الدنيا متهالك على ازديادها خائف من انتقاصها ، غالب عليه الشح بها ،

---

(١) سورة طه – ١٢٤ – ١٢٦

(٢) حدائق الروح والريحان مج١٧ ص ٤٥٩ – ٤٦٠

(٣) الكشاف ج٣ ص ٩٥

حيث لا غرض له سواها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة[١] . والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ضنك مهما يكن فيها من متاع وسعة، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه ، وضنك الحرص والحذر وضنك الحيرة والشك والقلق ، ضنك الجري وراء بارقات المطامع والحسرة على كل ما يفوت ، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله وما يحس راحة الطمأنينة إلا وهو متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها[٢]. وقوله (فإن له معيشةً ضنكا) الضنك أصله الضيق والشدة وهو مصدر ثم يوصف به فيقال منزلك ضنك وعيشك ضنك ، فكأنه قال معيشة ذات ضنك ، واعلم أن هذا الضيق المتوعد به إما أن يكون في الدنيا أو في القبر ، أو في الآخرة أو في الدين أو في كل ذلك أو أكثره .

أما **الأول** : فقال به جمع من المفسرين وذلك لأن المسلم لتوكله على الله يعيش في الدنيا عيشاً طيباً كما قال : (فلنحيينه حياةً طيبة) والكافر بالله يكون حريصاً على الدنيا طالباً للزيادة أبداً معيشته ضنك وحالته مظلمة .

وأما **الثاني** : وهو عذاب القبر ، قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في الأسود بن عبد العزى المخزومي ' والمراد ضغطة القبر تختلف فيها أضلاعه .

وأما **الثالث** : وهو الضيق في الآخرة في جهنم فان طعامهم فيها الضريع والزقوم ، وشرابهم الحميم والغسلين ، فلا يموتون فيها ولا يحيون .

---

(١) روح المعاني مج٨ ص ٨١٠

(٢) في ظلال القرآن مج٤ ص٢٣٥٥

وأما **الرابع** :- وهو الضيق في أحوال الدين ' فقال ابن عباس رضي الله عنهما :- المعيشة الضنك هي أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء .

وأما **الخامس**:- وهو أن يكون المراد الضيق في كل ذلك أو أكثره، قيل إنه يحشر بصيراً فإذا سيق إلى المحشر عمي[١] .

وفي الآية مثال يقاس عليه تصاريف عدل الله في عباده ويلاحظ فيه نموذج من حكمة الله في معاقبة البغاة ومجازاة الطغاة لغفلتهم وإعراضهم عن آيات الله . (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أتتك آياتنا فرأيتها وأبصرتها وآمنت بها وعقب ذلك تركتها ولم تعمل بما جاء فيها ، حتى نسيت ذكراها فكان حالك كحال الكافر الأعمى الذي أدبر عنها فلم يرها ، ولم يؤمن بها فمن العدل أن تترك مع العميان الكفرة إذ لم تنفعك رؤيتك وتقواك في سلوكك شيئاً. وفي الآية اتساق في التعبير والتصوير ، هداية يقابلها العمى وتكرار بين (كذلك وكذلك) وفسحة في الحياة يقابلها الضنك وهو ضيق المعيشة.

- **المثال الثاني :**

قوله تعالى: (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) مشاهد القيامة والجدل مع المنكرين البعث . إن سياق هذه الآية داخل السورة يعرض الانفعالات والمشاعر القوية.

(١) الرازي / التفسير الكبير مج ١١ ج ٢١ص ١٣١ – ١٣٢

الانفعالات في النفس البشرية ، وفي نفس الكون من حولها ، حيث نري السموات والأرض والجبال تغضب وتنفعل ، حتى لتكاد تتفطر وتنشق ، لاتخاذ الكافرين للرحمن ولدا والعياذ بالله[١]، قيضنا عليهم الشياطين ، وجعلناهم قرناء لهم مسلطين عليهم ، تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجاً شديداً ، بأنواع التسويلات والوساوس[٢] .

ويري تعجبُه عليه الصلاة والسلام من إرسال الشياطين عليهم، كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من أحوالهم من حيث كونها من آثار إغواء الشياطين كما ينبئ عن ذلك قوله سبحانه :(تؤزهم أزا) إن الشياطين ليهيجون الكافرين إلي المعاصي ، فهم مسلطون عليهم مأذون لهم في إغوائهم منذ أن طلب إبليس إطلاق يده فيهم[٣] فلا تتعجل في طلب هلاكهم ، فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس نعدها عليهم عداً، ثم يصيرون إلي عذاب شديد . وإذا كانت الأنفاس بالعدد ، ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد[٥] وفي الآية مثال يدل على حكمته تعالي في إقامة عدله وقطع دابر الفساد المنتشر في الأرض ويسير الإيقاع الموسيقي فيه وفق المعنى والجو ، ويشارك في إبقاء الظل الذي يتناسق مع المعني في ثنايا السورة ، وفي انتقال السياق من جو إلي جو ومن معنى إلي معنى.

وإنه لتصوير مرهوب فيا ويل من يعد الله عليه ذنوبه وأنفاسه وأعماله ، ويتتبعها ليحاسبه الحساب العسير – إن الذي يحس أن رئيسه يتتبع أخطاءه ليفزع، ويعيش في قلق، فكيف بالله المنتقم الجبار ؟ والتصوير يصور بدقة

---

(٢) في ظلال القرآن مج٤ ص ٢٢٩٩ –٢٣٠٠

(٢) روح المعاني مج٨ ص ٦٣٠

(٣) روح المعاني مج٤ ص ٦٣

(٢) في ظلال القرآن مج ٤ ص٢٣٢٠

الحساب تصويراً محسوساً (إنما نعد لهم عدا) كما يلاحظ الباحث أن الكلمات تعبر تعبيراً صادقاً عن الجو النفسي الذي يعيشه الكفار ، فالأز والهز والاستفزاز ، كلمات مهيجه تغري علي المعاصي وتهييج الوساوس والتسويلات .

(وجهة تؤزهم) إما حال مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من صور الكلام كأنه قيل : ماذا تفعل الشياطين بهم ؟ فقيل : تؤزهم، وهذه الكلمة تعبر عما يفعله هؤلاء الكفرة الغواة ، والمردة العتاة ، من فنون القبائح من الأفاعيل والأقاويل والتمادي في الغي ، والانهماك في الضلال والإفراط في العناد ، والتصميم علي الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وذلك بإضلال الشياطين وليس قصوراً في التبليغ (روح المعاني مج ٨ ص ٦).

المبحث السَادس

ضرب المثل لذكر أسرار الطبيعة

إنَ الطبيعة خلقها اللَه ، وأودعها كثيراً من الأسرار ، فيما يُعرف بملكوت اللَه . جاءت الأمثال في القرآن الكريم لتلفت النظر إلي هذه الأسرار . ففي هـذا البحث أورد الباحث مثالين يصَوران ويجسَدان هذه الأسرار ، على النحَو التَالي :

(ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) [١]

يبدأ المثل في الآية بسؤال استنكاري : ألم تعلم أيها الرائي ، أن الله تعالي ينزل من السماء مطراً فيحي به الأرض ، فتنبت ضروباً مختلفة من النبات ، ذات خضرة سندسية ، بديعة الألوان والأشكال ، بديع تنسيقها ، تبهر العـين بحسـن منظرها ،ثم ذكر ما هو الدليل علي ذلك فقال (إن الله لطيف خبير) يصل علمه إلي كل دقيقة وجليلة لطيف بأرزاق عباده ، لطيف باستخراج النبات ذو خبرة بتدبير، خبير بما ينطوون عليه من اليأس والقنوط عند تأخير المطر وقيل خبير بحاجتهم وفاقتهم [٢] .

ألم تعلم أيها السامع أن الله بقدرته أنزل من السحاب مطـراً؟ فأصـبحت الأرض منتعشة خضراء بعد يبسها وقحولها [٣] . فمن اللطف الإلهي ذلك الـدبيب اللطيف ، دبيب العشبة الصغيرة من جوف الثري وهي نحيلة ضئيلة ، ويد القدرة تمد لها في الهواء . وتمدها بالشوق إلي الارتفاع إلـي جاذبيـة الأرض وثقلـة الطين، وبالخبرة الإلهية يتم تدبير الأمر في إنزال الماء بقدر في الوقت المناسـب

---

(١) الحج – ٦٣

(٢) حدائق الروح والريحان مج ١٨ ص ٤٠٨

(٣) صفوة التفاسير مج٢ ص ٢٩٧

وبالقدر المطلوب ، ويتم امتزاج الماء بالتربة ، وبخلايا النبات الحية المتطلعة إلي الانطلاق والنور ، والماء ينزل من سماء الله إلي أرضه فينشئ فيها الحياة ويوفر فيها الثراء والغذاء ، والله المالك لما في السماء والأرض، غني عما في السماء والأرض ، وهو يرزق الأحياء بالماء والنبات، وهو الغني عنهم وعما يرزقون .

وفي الآية مثال جاء على نسق بديع يعبر عن أسرار الطبيعة التي حبا الله بها هذه الأمة حيث نزول الماء من السماء، ورؤية الأرض بعده مخضرة بين عشية وضحاها ، فإن هذا المشهد في أرض يستجيش في القلب شتي المشاعر والأحاسيس. و(ألم تر) للتقرير ، والرؤية هنا إما علمية لأن الماء وإن كان مرئياً إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي ، أو بصرية والخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل من تتأتى منه الرؤية (فتصبح الأرض) الفاء فيه للعطف ، على (أنزل) وارتفع الفعل بعد ألفاء لكون استفهام التقرير بمنزلة الخبر (مخضرة) ذات خضرة والمراد بالاخضرار ، اخضرار الأرض في نفسها لا باعتبار النبات فيها وقوله (فتصبح) لإفادته بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان[١] . وهذا المثال يرسم صورة رائعة ومشاهدة حية لموسم الشتاء ونزول الأمطار، وخروج النبات من الأرض ، وهذا يدل على أن الله متفضل على العباد بإيصال منافعهم إليهم برفق ، وأنه عليم بدقائق الأمور خبير بما في قلوبهم .

المثال الثاني : قوله تعالي : (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فتري الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)[٢].

(١) حدائق الروح والريحان مج ١٨ ص ٤٠٦ – ٤٠٧
(٢) سورة النور – ٤٣

هذا المثال موجه نحو الرسول محَمد صلَى اللَه عليه وسلَم ليتدبر نعمة أخرى من نعم اللَه تعالي . وكأنما الحق تبارك وتعالي يخاطب الرسول الكريم ، أما وقد رأيت يا محمد رؤية بصرية أن الله يسوق غيماً إلي حيث يشاء ، ثم يجمع بين أجزائه فيضم بعضه إلي بعض فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً ، ليقوى ويتصل ويكثف ، وينزل الله من السماء من جبال كأنه فيها بعض برد فالسحاب يسوقه بقدرته أول ما ينشئه، ثم يجمع بين ما تفرق من أجزائه ، ثم يجعل بعضه متراكماً فوق بعض، فينزل المطر من فوقه ، وحيناً ينزل منه قطعاً كبيرة من البرد ،كأنها الجبال فيصيب بما ينزل منه من يشاء من عباده ، فينالـه النفع العميم والخير الكثير ، أو الضرر الشديد ، إذا كان فوق الحاجة . ويصرفه عمن يشاء أن يصرفه عنه، وفي هذا السحاب برق يضئ بشدة وسرعة، حتى ليكاد يخطف الأبصار ، وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة ،إذ فيه توليد النار من الماء[١] .

إن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلي مكان ثم تؤلف بينه وتجمعه ، فإذا هو ركام بعضه فوق بعض . فإذا ثقل خرج منه الماء ، والوبل الهاطل، وهو في هيئة الجبال الضخمة الكثيفة ، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة، ومشهد السحب كالجبال لا يبدو كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب ، أو تسير بينها ،فإذا المشهد مشهد الجبال حقاً ، بضخامتها وارتفاعاتها ومساقطها وانخفاضاتها[٢] .

هذا المثال يؤثر كثيراً في مجال تنمية التفكير السليم ، وتخليصه وتهذيبه من المعلومات المغلوطة والأوهام وإمداده بالأفكار البناءة ، والمعارف الدقيقة التي توسع آفاقه ، إلي مزيد من التطلع، إلى ما بثه الله في هذا الكون ، من

(١) حدائق الروح والريحان مج ١٩ ص ٣٧٧ / ٣٧٨
(٢) في ظلال القرآن – مرجع سابق ص ٢٥٢٢

الآيات المشاهدة وغيرها . وفي الآية مثال يتناول الأسرار الطبيعية التي سخرها الله لعباده ، وفق ناموسه الذي يحكم به هذا الكون ، فيصيب الله بالمطر من يشاء ويصرفه عمن يشاء فبدأت الآية بالاستفهام (ألم تر) للتقرير ، والرؤية بصرية ، والخطاب فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم أو لكل ما يصلح للخطاب . والإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة[١]. (ثم يؤلف بينه) بأن يوصل سحابة بسحابة (ثم يجعله ركاماً) أي متراكماً بعضه فوق بعض (الودق) المطر شديداً كان أو ضعيفاً إثر تراكمه . (يخرج من خلاله) أي من فتوقه ومخارجه التي حدثت بالتراكم والانعصار .

(من جبال) أي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم (يذهب بالأبصار) يحفظها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها ، وفي إطلاق الأبصار – مزيد لتهويل الأمر ، وبيان لشدة تأثيره فيها ، كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض ، وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث إنه توليد للضد من الضد[٢]وتكملة المشهد (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) ليتم التناسق مع جو النور الكبير في الكون العريض على طريقة التناسق في التصوير[٣]

ويلاحظ الباحث المشاهد الحية الواضحة التي تقف شاهداً على وحدانية الله، وقدرته على إدارة الكون وتصريف شئونه لتؤدي الغرض من عرضها في إيقاظ القلب وبعثه إلى التأمل والنظر والعبرة.

---

(١) حدائق الروح والريحان مج ١٩ ص ٣٧٧

(٢) روح المعاني مج ٩ ص ٥١٣ / ٥١٤ / ٥١٦

(٣) في ظلال القرآن مج ٤ ص ٢٥٢٢

المبحث السَابع

ضرب المثل للتعجيز والتحدَي

قال تعالى (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)(١).

إنَ سوق المثل ، في القرآن الكريم ، للتعجيز والتحدَي ظاهر للعيان ، ففي الآية الكريمة يخاطب اللَه المشركين بأنه قد خلق السموات في عظمتها وسعتها وإحكامها بدون دعائم ترتكز عليها ، حال كونكم تشاهدونها كذلك واقفة من غير أعمدة تستند إليها ولا تمسكها إلا قدرة الله العلي الكبير ، وجعل فيها جبالاً ثوابت لئلا تتحرك وتضطرب بكم فتهلككم بأن تقلبكم على ظهرها أو تهدم بيوتكم بتزلزلها، وأنزلنا لحفظكم وحفظ دوابكم المطر من السحاب ، فأنبتنا في الأرض من كل نوع من النبات ومن كل صنف من الأدوية والأغذية ، كثير المنافع بين الخلق والتكوين.

هذا الذي تشاهدونه وتعاينونه أيها المشركون هو من مخلوقات الله ،فانظروا في السموات والأرض والإنسان والحيوان والنبات ،وسائر ما خلق الله ثم تفكروا في آثار قدرته وبديع صنعته ،ثم اخبروني أي شيء خلقته آلهتكم التي عبدتموها من دون الله من الأوثان والأصنام؟ وهو سؤال على جهة التهكم والسخرية بهم وبآلهتهم المزعومة . لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها ،

(١) لقمان – ١٠ / ١١

وعبدوا مالا ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع فهم أضل من الحيوان الأعجم،لان من عبد صنما جامداً، وترك خالقاً مدبراً عظيماً يكون أحط شأناً من الحيوان[١] .

وفي الآية مثال جئ به للاستشهاد على قدرته وعزته وكمال حكمه فيها يخلق والغرض منه تمهيد للتحدي والتعجيز وهذا المثال الذي تكونت عناصره من الطبيعة له دور عظيم في دفع الخيال إلي التخييل في نعم الله ففي(خلق السموات بغير عمد) استئناف جئ به للاستشهاد بما فصل فيه على عزته عز وجل التي هي حكمته وكمال قدرته التي هي كمال العلم وإتقان العمل وإبطال أمر الإشراك وتمهيد قاعدة التوحيد ، وتبكيت أهله، وقوله (ترونها) استئناف في جواب سؤال تقديره ما الدليل على ذلك؟ فهو مسوق لإثبات كونها بلا عمد لأنها لو كانت لها عمد لرؤيت ، فالجملة لا محل لها من الإعراب (وألقى في الأرض رواسي) بيان لصنعه تعالى البديع في قرار الأرض إثر بيان صنعه عز وجل الحكيم في قرار السموات ، أي ألقي فيها جبالاً شوامخ أو ثوابت كراهة(أن تميد) لو لم يلق الله سبحانه وتعالى فيها رواسي لما أن الحكمة اقتضت خلقها على لو خليت معه عن الجبال عادت بالمياه المحيطة بها، الغامرة لأكثرها ، والرياح العواصف التي تقتضي الحكمة هبوبها أو بنحو ذلك[٢] .

وهذا إشارة إلي ما ذكر من مخلوقاته ، والخلق بمعني المخلوق ،(والذين من دونه) آلهتهم ،بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلق الله وأنشأه فأروني ماذا خلقته ألهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة[٣] .

---

(١) صفوة التفاسير مج٢ ص ٤٨٨

(٢) روح المعاني مج١١ ص ١٠٦

(٣) الكشاف ج٣ ص ٤٩٢

والنص القرآني يقرر أن الله أنبت النبات أزواجا وهي حقيقة ضخمة اهتدى إليها العلم بالاستقراء قريباً جداً. فكل نبات له خلايا تذكير ، وخلايا تأنيث ، إما مجتمعة في زهرة واحدة أوفي زهرتين في العود الواحد ، وإما منفصلة في عودين أو شجرتين ، ولا توجد الثمرة إلا بعد عملية التقاء وتلقيح بين زوج النبات، كما هو الشأن في الحيوان والإنسان سواء[١].

ووصف الزوج بأنه (كريم) ، يلقي ظلاً خاصاً مقصوداً في هذا الموضع ليصبح لائقاً بأن يكون (خلق الله) وليرفعه أمام الأنظار مشيراً إليه(هذا خلق الله) وليتحداهم به ويتحدى دعواهم المتهافتة.

(فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟) وليعقب على هذا التحدي في أنسب وقت (بل الظالمون في ضلال مبين) وأي ضلال وأي ظلم بعد هذا الشرك في هذا المعرض الكوني المحسوس المشاهد الباهر الجميل[٢]

(١) الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي – تفسير الكريم الرحمن ج٤ ص١٠٤ / ١٠٥
(٢) في ظلال القرآن مج ٥ ص ٢٧٨٧

الخاتمة

الحمد للَه رَب العالمين ، حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحَب ربنا ويرضي ، والصَلاة والسَلام على نبينا محَمد وعلي آله وصحبه وسلم ، وبعد :

فإنَ الأمثال هي الأسلوب الذّي يستوعب الشعور النَابض الحيَ ، والإحساس الرَاقي ، وهي المرآة التي تنعكس على صفحاتها عادات الأُمة وأخلاقها وأفكارها وسائر مظاهر حياتها ، وتعتبر محصول خبراتها، وخلاصة تجاربها ، ونور مَيز اللَه به بين الغي و الرشاد ، والخبيث من الطيب .

هذا ، فقد أتيت بحمد للَه وتوفيقه ، على نهاية البحث ، وبدا لي من خلاله جملة من النتائج خرجت بها ، ولي توصيات جمعتها ، كل ذلك على النحو التَالي :

أولاً : نتائج البحث

١- ضرب الأمثال يشير الي نعم الله تعالي الدَالة علي قدرته ، ووجوب استحقاق العبودَية له وحده .

٢- ضرب الأمثال فيه العظة والعبرة والتذكير ، وإظهار بدائع صنع اللَه تعالي ، وفي الأمثال عرض لحكمة اللَه في معاقبة البغاة ، ومجازاة الطَغاة ، وقطع دابر الفساد المنتشر في الأرض .

٣- ضرب الأمثال يكشف الأسرار الطَيبة التي سخَرها اللَه لعباده ، وفق ناموسه الذي يحكم به هذا الكون ، وفيه حثَ وتشويق وترغيب ، في أمر محبوب يعود علي البشرية بالنفع العميم ، والمآثر الجليلة ، والخير العظيم .

٤- ضرب الأمثال فيه إشارة إلي الترغيب والترهيب الذي يرمي إليه اللَه تعالي ، من الشَقاء الدَائم والضرر البالغ الذَي يعود علي الأمة بالوبال والخسران ، مَمن اَتبع هواه ، وأعرض عن دينه .

٥- ضرب الأمثال فيه إبراز للإعجاز والتحدي ، كخلق السموات والأرض ، والجبال الراسيات ، وإنبات البنات أزواجاً ، وغيرها من الآيات الدَالة على عظمته ، وإبراز هيمنته – جل وعلا – على ملكه وملكوته .

ثانياً : توصيات البحث

١- وضع الأمثال في مستوى أفضل من خلال الدَراسات البلاغية المعاصرة ، لتكون نواة صالحة في بناء النَسق الثقافي الإسلامي المنشود .

٢- تصنيف الأمثال ، في إطار التفسير الموضوعي ، ليستفاد منها في أمور كثيرة ، منها تهذيب الفكر وتنميته ، وإمداده بالأفكار البناءة ، والمعارف الدقيقة .

٣- استيفاء القول في الأمثال القرآنية لأن الكتب التي تناولتها ما تزال قليلة ، وتعدَ ثروة تنتظر دراسات عديدة لتجلي' آثارها الفكرية والفقهية .

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يعيذني من علم لا ينفع ، ومن نفس لاتشبع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ، وأن يلهمني الصواب والرَشاد . وصل اللَهم وبارك على سيدنا محَمد وعلي آله وصحبه وسلم . وآخر دعوانا أن الحمدللَه رب العالمين .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** .

١- ابن القيم الجوزية ،ت سعيد محمد نمر، الأمثال في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان، بدون تاريخ

٢- ابن المقفع عبد الله ، الأدب الصغير ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ،١٣٨٠هـ ١٩٨١م .

٣- ابن عبد ربه الأندلسي ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ' ١٣٥٩هـ ' ١٩٤٠م .

٤- الجرجاني ، عبد القاهر بن عبدالرحمن ،أسرار البلاغة، ط٦ ، مطبعة محمد علي صبيح ' القاهرة ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩م .

٥- الفياض ، محمد جابر ، الأمثال في القرآن الكريم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ، هيرندن فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية .

٦- الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين ، مفاتيح الغيب ، المشتهر بالتفسير الكبير ، المطبعة المصرية ببولاق ١٣٨٩ه .

٧- الرازي التفسير الكبير ، تقديم الشيخ خليل محيي الدين ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٨- الطهطاوي ، الشيخ علي أحمد عبد العال ، في شرح الأمثال ، في القرآن ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ' بيروت ، لبنان ط١ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٩- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ط١ ، قطر ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م .

١٠-أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ت محمد عطية ، ط٢ ، مطبعة بابي الحلبي ، القاهرة ، ط٧

١١-الزمخشري ، أبو القاسم جار الله ، الكشاف ، أساس البلاغة ، بيروت ، دار صادر ، للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ه ، ١٩٦٥م

١٢-الزمخشري ، الكشاف ، ت يوسف الحمادي ، مكتبة مصر

١٣-خالد معدل ، أضواء على بعض الأمثال في القرآن الكريم ، مجلة آفاق للثقافة والتراث ، العدد (٨)مارس ١٩٩٥م

١٤-عبد المجيد الإسداوي، فن الأمثال في مجتمعنا القديم والمعاصر ، مكتبة عرفات ، الزقازيق ، ط٢ ، ٢٠٠٦م

١٥-شهاب الدين الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، دار الجيل ، بيروت

١٦-محمد سعيد البوطي ، من روائع القرآن ، ط١ ، دار الكتاب ، بيروت ، ١٩١٩م

١٧-مناع القطان ، مباحث علوم القرآن ، ط٣، مطبعة الرشد ، الرياض ، ١٩٩٩م

١٨-سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط٢٧ ، ١٤١٩ه ، ١٩٩٨م

١٩-فهد الرومي ، خصائص القرآن ، ط٣ ، مطبعة الرشد الرياض ، ١٩٩٩م

٢٠-الهرري ، محمد الأمين ، حدائق الروح والريحان، دار طوق النجاة ، بيروت ، لبنان

٢١-الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين ، ت الأستاذ سيد عمران ، روح المعاني ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ

٢٢-الصابوني ، محمد علي ، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤٠٢ه ، ١٩٨١م

٢٣-السعدي ، الشيخ عبد الرحمن ناصر ، تفسير الكريم الرحمن ، تقديم محمد زهري النجار ، تصحيح محمد سليمان ، تفسير القرآن الكريم ، دار الذخائر الدمام ، ١٤١٤ه ، ١٩٩٤م

٢٤-السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ،الإتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط٣، ١٩٧٥م

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	رقم الصفحة
١	المبحث الأول : الإطار المنهجي للبحث.	١٥٠١
٢	المبحث الثاني : تعريف المثل وأنواعه وأهميته.	١٥٠٥
٣	المبحث الثالث : الأمثال في القرآن الكريم وفوائدها.	١٥٠٨
٤	المبحث الرابع : ضرب المثل لإحصاء نعم اللَه.	١٥١٦
٥	المبحث الخامس : ضرب المثل لتصوير الهلع.	١٥٢٢
٦	المبحث السادس : ضرب المثل لذكر اسرار الطبيعة.	١٥٢٧
٧	المبحث السابع : ضرب المثل للتَعجيز والتَحدي.	١٥٣١
٨	الخاتمة : (النتائج والتوصيات)	١٥٣٤
٩	المصادر والمراجع .	١٥٣٦
١٠	فهرس الموضوعات	١٥٣٩